آية يونان النبي ودلالاتها

فثبت بذلك أن أساس المسيحية مبني على تلك المعجزة وحدها، بل إنها هي المعجزة الحقيقية عند المسيحية، كما أن الآثار القديمة في التراث المسيحي من صور وعبارات منحوتة في أول عهد المسيحية أيضًا تشير إلى هذا الأمر، أعني صورة راع مع خرافه، وصورة سفينة نوح، وصورة يونان النبي وهو يدخل في بطن الحوت. فكل هذا يدل على أن هذه هي معجزة المسيحية، بل إن المسيح عليه السلام نفسه قد اعتبرها معجزته الفريدة والحقيقية. فقد ورد في الإنجيل أن المسيح عليه السلام كان يلقي الوعظ، فحينئذ "أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين: يا معلم، نريد أن نرى منك آية؟ فأجاب وقال لهم: جيل شرّير وفاسق يطلب آية، ولا تُعطى لـــه آية إلا آية يونان النبي. لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال" (متى ١٢: ٣٨-٤٠).

فالمسيح عليه السلام لم يردّ على هؤلاء بأني قد أريتكم آيات كثيرة فلم لا تنتفعون بها، كما لم يقل لهم إني سأريكم آيات كثيرة، بل قال لهم لن أريكم أي آية إلا آية يونان النبي. وهذا يدل على أن المسيح قد اعتبر آيته هذه هي الآية الحقيقية. والبديهي أن ليس ثمة نبي قد أتى بآية واحدة فقط، بل إن الإنجيل نفسه يخبرنا أن المسيح

قد أرى آيات أخرى كثيرة. فقول المسيح عليه السلام "ولا تُعطى لـــه آية إلا آية يونان النبي" إنما يعني أنه فيما يتعلق باليهودية فإن الآية الهامة والمحورية التي يعطاها المسيح إنما هي آية يونان النبي، وذلك في رأي المسيح نفسه. وهذا ما تؤكده شهادة النصارى الأوائل أيضًا، كما بينتُ من قبل. والحق أن المسيحي من الزمن الأول هو الأحق والأولى بأن يفهم الهدف من المسيحية، وإن أول صورة من صورهم الثلاث التي نحتها المسيحيون الأوائل في السراديب إنما تتعلق بحادث يونان النبي، وهذا دليل على أن المسيحيين الأوائل كانوا يعتقدون أن آية يونان النبي هي معجزة المسيح الحقيقية والحيوية، أما الصورتان الأخريان فهما تابعتان لها.. بمعنى أن آية يونان النبي التي يعطاها المسيح هي نفسها تدل على أن المسيح بُعث منجيًا، وراعيًا كذلك كما سأبين لاحقًا، حيث ذهب المسيح عليه السلام لجمع خرافه الضالة إلى إيران وأفغانستان وكشمير، وبلّغهم رسالة الله تعالى (Jesus Died in Kashmir P. 78-80). إذن فإن آية المسيح الجوهرية الفريدة والكاشفة لمكانته العظمى إنما هي آية يونان النبي، وذلك بشهادة المسيحيين الأوائل وأيضًا بحسب قول المسيح نفسه.

وإنجيل لوقا أيضًا يؤكد ذلك إذ ورد فيه قول المسيح: "هذا الجيل شرّيرٌ، يطلب آية، ولا تعطى لـــه آية إلا آية يونان النبي،

لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن الإنسان أيضًا لهذا الجيل" (لوقا ١١: ٢٩-٣٠).

وجدير بالملاحظة أن لوقا قد سجل هنا أمرًا زائدًا. فبينما يقول "متى" إن المسيح قال عن ذلك الجيل "لا تُعطى لـــه آية إلا آية يونان النبي، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال. رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان، وهوذا أعظم من يونان ههنا" (متى ١٢: ٣٨-٤١)، يركز لوقا على قول المسيح "لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن الإنسان أيضًا لهذا الجيل". وكأنه يركز خاصة على أن المسيح سيكون آية لهذا الجيل على النحو الذي كان عليه يونان النبي آية لأهل نينوى.

لقد تبين من هذه الفقرات والأدلة أن الآية التي ظهرت للمسيح في زمنه إنما هي آية يونان النبي. وما هي تلك الآية؟ لقد شرحها المسيح نفسه بقولـــه: "لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاث أيام وثلاث ليال".

واعلم أن الشَّبَه بين شيئين لا تعني بالضرورة أن يكونا مماثلين في كل شيء تمامًا، إنما المراد أن يماثلا في الأمور الأساسية الحيوية. وهذا ما يقصده المسيح عليه السلام بقوله هذا، أي أن يمكث ثلاثة أيام

وثلاث ليال في القبر في حماية الله تعالى كما مكث يونان النبي في بطن الحوت محميًا بيد الله تعالى. ذلك أن دخول أحد في بطن الحوت ليس بمعجزة، فهناك آلاف من الناس قد يلتقمهم الحوت، ولا أحد يسمي ذلك معجزة. فما هي معجزة يونان النبي إذن؟ إنما هي أنه ظل في بطن الحوت محميًّا بيد الله تعالى ليكون لقومه آية من عند الله.

والآن نرى كيف مكث يونان النبي في بطن الحوت ثلاثة أيام. نقرأ في كتابه في التوراة ما يلي:

"وصار قول الرب إلى يونان بن أَمِتَّايَ قائلاً: قُمْ واذهَبْ إلى نينوى المدينة العظيمة، ونادِ عليها لأنه قد صعد شرُّهم أمامي. فقام يونان ليهرب إلى تَرْشِيش من وجه الرب. فنـــزل إلى يافا، ووجد سفينة ذاهبة إلى تَرْشِيش، فدفع أجرتها، ونـــزل فيها ليذهب معهم إلى ترشيش من وجه الرب.

(أي عوضًا عن أن يذهب يونس إلى نينوى ليبلّغ أهلها رسالة الله، كما يفعل أنبياء الله ورسله عملاً بأوامره ﷻ، فكّر في نفسه أن الله رؤوف رحيم كريم، ينذر الناس بالعذاب على لسان رسله أولاً، وحين يتضرعون ويبتهلون يعفو عنهم، فيتّهمون الرسلَ بالافتراء إذ لم يحل بهم العذاب؛ وأنا لست ممن يتحمل هذا الخزي والعار، فلا أذهب إلى نينوى أصلاً).

فأرسل الرب ريحًا شديدة إلى البحر، فحدث نَوءٌ عظيم في البحر حتى كادت السفينة تنكسر. فخاف الملاحون وصرخوا كلٌّ واحد إلى إلهه، وطرحوا الأمتعة التي في السفينة إلى البحر ليخففوا عنهم.

(علمًا أن السفن في الزمن الغابر كانت شراعية لا تحمل أثقالاً كبيرة، فإذا جاء الطوفان وخاف الناس على غرقها ألقوا بعض أمتعتهم في البحر لتخفّ السفينة).

وأما يونان فكان قد نـــزل إلى جوف السفينة واضطجع ونام نومًا ثقيلاً.

(أي أنه فيما كان الآخرون يدعون الله تعالى ويخففون من أحمال السفينة، كان يونس يغط في نوم عميق).

فجاء إليه رئيس النُّوتِيّةِ وقال لـــه: ما لك نائمًا؟ قُمِ اصْرُخْ إلى إلهك عسى أن يفتكر الإله فينا فلا نهلك. وقال بعضهم لبعض: هلمّ نلقي قُرَعًا لنعرف بسبب مَن هذه البليّة؟ فألقَوا قرعًا، فوقعت القُرْعة على يونان. فقالوا لـــه: أخبِرْنا بسبب مَن هذه المصيبة علينا؟ ما هو عملك، ومن أين أتيت؟ ما هي أرضك، ومن أي شعب أنت؟ فقال لهم: أنا عبراني، وأنا خائف من الرب إله السماء الذي صنع البحر والبر.

(إن بيان التوراة هذا غلط، إذ لم يكن يونس عبراني الأصل، بل كان من قوم آخرين إذ كان مرسلاً إلى نينوى التي هي عاصمة

المملكة الآشورية، فكان آشوريًّا. علمًا أن آشور لم تكن في بلاد الشام، وإنما هي من ممالك العراق القديم، وكانت تقع شمالي مدينة بابل، وكانت حدودها تصل إلى آرمينيا شمالاً، وإلى كردستان شرقًا، وإلى جزء من الأراضي الواقعة غربي نهر دجلة غربًا؛ أي أن آشور كانت تضم جزءًا من العراق الحالي أيضًا. لقد كانت مملكة قوية في الأيام الغابرة، وكانت عاصمتها في البداية مدينة آشور الواقعة على بعد ٦٠ ميلاً شمالي الموصل، وتسمى حاليًّا قلعات شرجت. ثم انتقلت العاصمة إلى مدينة نينوى.

والباحثون الأوروبيون أيضًا مختلفون في كون يونس من بني إسرائيل (الموسوعة اليهودية تحت Jonah).

فخاف الرجال خوفًا عظيمًا وقالوا لـــه: لماذا فعلت هذا؟ فإن الرجال عرفوا أنه هاربٌ من وجه الرب لأنه أخبرهم. فقالوا لـــه: ماذا نصنع بك ليسكن البحر عنا، لأن البحر كان يزداد اضطرابًا؟ فقال لهم: خُذوني واطرَحوني في البحر فيسكُن البحر عنكم، لأني عالم أنه بسببي هذا النوء العظيم عليكم.

ولكن الرجال جذفوا ليرجّعوا السفينة إلى البر، فلم يستطيعوا لأن البحر كان يزداد اضطرابًا عليهم. فصرخوا إلى الرب وقالوا: آه يا رب، لا نهلك من أجل نفس هذا الرجل، ولا تجعل علينا دمًا بريئًا، لأنك يا رب فعلت كما شئت. ثم أخذوا يونان وطرحوه

في البحر، فوقف البحر عن هيجانه. فخاف الرجال من الرب خوفًا عظيمًا، وذبحوا ذبيحة للرب، ونذورا نذورًا.

وأما الرب فأعدَّ حوتًا عظيمًا ليبتلع يونان. فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال.

فصلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت وقال: دعوتُ من ضيقي الربَّ فاستجابني. صرختُ من جوف الهاوية فسمعتَ صوتي. لأنك طرحتَني في العمق في قلب البحار، فأحاط بي نهرٌ، جازت فوقي جميع تياراتك ولججك، فقلت: قد طُردت من أمام عينيك، ولكني أعود أنظر إلى هيكل قدسك. قد اكتنفتْني مياه إلى النفس. أحاط بي غَمرٌ. التفّ عشب البحر برأسي. نـــزلتُ إلى أسافل الجبال. مغاليق الأرض عليّ إلى الأبد. ثم أَصعدتَ من الوهدة حياتي أيها الرب إلهي. حين أعيتْ فيّ نفسي ذكرتُ الربَّ، فجاءت إليك صلاتي إلى هيكل قدسك. الذين يراعون أباطيلَ كاذبة يتركون نعمتهم، أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك، وأوفي بما نذرتُه. للرب الخلاصُ.

وأمر الرب الحوتَ، فقذف يونانَ إلى البر.

ثم صار قول الرب إلى يونان ثانية قائلاً: قُمِ اذهَبْ إلى نينوى المدينة العظيمة، ونادِ لها المناداة التي أنا مكلِّمُك بها. فقام يونان وذهب إلى نينوى بحسب قول الرب. أما نينوى فكانت مدينة عظيمة لله مسيرة ثلاثة أيام. فابتدأ يونان يدخل المدينة مسيرة يوم

واحد، ونادى وقال: بعد أربعين يومًا تنقلب نينوى. فآمن أهل نينوى بالله، ونادَوا بصوم، ولبسوا مسوحًا من كبيرهم إلى صغيرهم. وبلغ الأمر ملكَ نينوى، فقام عن كرسيّه، وخلع رداءه عنه، وتغطى بمِسْح، وجلس على الرماد. ونودي وقيل في نينوى عن أمر الملك وعظمائه قائلا: لا تذُق الناسُ، ولا البهائم، ولا البقر، ولا الغنم شيئًا. لا تَرْعَ ولا تشرَبْ ماء. وليتغطَّ بمسوحٍ الناسُ والبهائم، ويصرخوا إلى الله بشدة، ويرجعوا كلٌّ واحد عن طريقه الرديئة وعن الظلم الذي في أيديهم. لعل الله يعود ويندم، ويرجع عن حُمُوِّ غضبه فلا نهلك.

فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه.

فغمَّ ذلك يونانَ غمًّا شديدًا، فاغتاظ وصلى إلى الرب وقال: آه يا ربّ. أليس هذا كلامي إذ كنتُ بعدُ في أرضي. لذلك بادرتُ على الهرب على ترشيش لأني علمت أنك إله رؤوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر. فالآن يا رب، خُذْ نفسي مني لأن موتي خير من حياتي. فقال الرب: هل اغتظتَ بالصواب؟

وخرج يونان من المدينة، وجلس شرقي المدينة، وصنع لنفسه هناك مظلة، وجلس تحتها في الظل حتى يرى ماذا يحدث في المدينة. فأعدّ الربُ الإلهُ يَقْطينةً فارتفعت فوق يونان لتكون ظلاًّ على

رأسه لكي يخلّصه من غمه. ففرح يونان من أجل اليقطينة فرحًا عظيمًا.

(لاحِظْ أن التوراة تقول هنا أن يونس صنع لـــه المظلة أولاً، ثم أخرج الله اليقطينة؛ مع أنه لم تكن هناك حاجة إلى اليقطينة بعد المظلة، لأن المظلة أروح من اليقطينة. ولكن القرآن الكريم لا يذكر أي مظلة، وإنما يذكر اليقطينة فقط (الصافّات: ١٤٧)؛ فثبت أن بيان القرآن هو الصحيح والأقرب إلى المنطق).

ثم أعدّ الله دودة عند طلوع الفجر في الغد، فضربت اليقطينةَ فيبستْ. وحدث عند طلوع الشمس أن الله أعدَّ ريحًا شرقية حارّة، فضربت الشمسُ على رأس يونان، فذبُل، فطلب لنفسه الموت، وقال: موتي خير من حياتي. فقال الله ليونان: هل اغتظتَ بالصواب من أجل اليقطينة؟ فقال: اغتظتُ بالصواب حتى الموت. فقال الرب: أنت شفقتَ على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا ربّيتَها، التي بنتَ ليلةً كانت وبنتَ ليلة هلكتْ؛ أفلا أشفقُ أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من اثنتي عشرة ربوة✪ من الناس الذي لا يعرفون يمينهم من شمالهم، وبهائمُ كثيرة" (يونان: الإصحاحات ١-٤)

✪ الربوة هي عشرة آلاف نسمة. (المترجم)

هذه هي واقعة يونان النبي التي أشار المسيح إليها هنا. إنها توضح لنا أن يونس عليه السلام لما تلقى الوحي من الله تعالى أن اذهبْ إلى قومك وبلِّغهم رسالات الله، فلم يذهب للتبليغ، بل فكّر في نفسه أن رسل الله عندما يبلغون قومهم رسالات الله يبلغونهم أيضًا بعض الأنباء التي فيها إنذار وتحذير من الله تعالى، ولكن الله تعالى رحيم بعباده ويعفو عنهم، وهذا يعرّض رسله للخزي والإهانة. فقرر يونس أن يهرب إلى بلد آخر حتى لا يرى هذا الخزي من قبل قومه. ولكن الله تعالى أراد منه أن يذهب إلى قومه ليبلغهم رسالاته. فألقاه في البحر على يد هؤلاء الملاحين، ثم أمر حوتًا كبيرًا بابتلاعه، فابتلعه وهو حي. وتقول التوراة إنه كان يدعو ويبتهل إلى الله تعالى وهو في بطن الحوت، والبديهي أن الحي هو الذي يدعو الله تعالى وليس الميت. ثم قذَفه الحوت بأمر الله تعالى إلى البر لا في البحر، ثم أرسله الله تعالى إلى نينوى ليبلغهم رسالته، فذهب ونجح في دعوتهم.

نتوصل من دراسة هذه المعجزة إلى ما يلي:

الأول: أن يونس دخل في بطن الحوت وهو حي.

الثاني: أنه مكث في بطنه ثلاثة أيام وثلاث ليال وهو حي.

الثالث: أنه خرج من بطنه وهو حي.

الرابع: أن زمن دعوته بدأ في الحقيقة بعد خروجه من بطن الحوت. إذ لم يخبر الناس قبل هذا الحادث أن الله تعالى قد بعثه

لإصلاحهم. من الممكن أن يكون قد ذكر ذلك لبضعة أشخاص، ولكنه لم يوجه دعوته إلى الناس عامة، بل أراد أن يفر إلى بلد آخر، ولكن الله تعالى أرجعه إلى بلده ثانية بعد حادث الحوت ليبلّغ قومه رسالة الله، ففعل وآمن به قومه.

بعد استيعاب هذه المعجزة جيدًا لا يسع أحدًا أن ينكر أن هذه المعجزة لا تنطبق على المسيح عليه السلام إلا بالشروط الآتية:

الأول: أن يدخل المسيح في القبر وهو حي.

الثاني: أن يمكث في القبر وهو حي.

الثالث: أن يخرج من القبر وهو حي.

الرابع: أن تتاح لـــه فرصة الدعوة الناجحة بعد خروجه من القبر.

فهذه هي الأمور الأربعة التي تُستفاد من حادث يونان النبي. فإذا كانت قصة الصلب المسيحية صحيحة فثبت أن هذه الأمور الأربعة كلها لم تتحقق في المسيح عليه السلام. أعني:

أولاً: إذا كان المسيح قد مات على الصليب، و(**ثانيًا**) إذا كان قد مكث في القبر، بل في الجحيم، وهو ميت، فلم تثبت لـــه أي مشابهة بيونان النبي. ذلك أن يونان دخل في بطن الحوت وهو حي، ومكث في بطنه وهو حي، وكان على صلح مع الله تعالى إذ كان يدعوه ويبتهل إليه؛ ولكن المسيح دخل في القبر وهو ميت، ثم

إنه مكث في الجحيم كل هذه الأيام، وهذا يعني أنه صار من المبعَدين عن الله تعالى.

ثالثًا: إذا كان المسيح قد خرج من القبر بعد أن عاد إلى الحياة ثانية فلم تثبت مماثلته بيونان النبي، لأن يونان لم يخرج من بطن الحوت بعد أن عاد إلى الحياة ثانية، بل كان حيًّا قبل دخوله في بطنه، وكان حيًّا وهو في بطنه، وكان حيًّا حين خرج من بطنه.

رابعًا: وإذا كانت مهمة المسيح قد انتهت بعد خروجه من القبر بعد أن عاد إلى الحياة – كما تزعم المسيحية أنه مكث أولاً في الجحيم للأيام الثلاثة كفارةً عن ذنوب الناس، ثم بعد عودته إلى الحياة صعد إلى السماء ليجلس على عرش أبيه – فلم تثبت لـــه أي مماثلة بيونان النبي. ذلك أن الله تعالى قد أتاح ليونان النبي فرصة الدعوة الناجحة بعد خروجه من بطن الحوت. والحق أن هذه هي معجزته الحقيقية، إذ بين الله تعالى للدنيا أن يونان رفض أوامرنا ولم يرد أن يكون رسولاً منا خوفًا منه أن يرفضه القوم فيرى الخزي والهوان من قِبلهم، فهرب، فألقيناه في بطن الحوت، فلبث في بطنه حيًّا، ثم قذفه الحوت إلى اليابسة بأمرنا، فأرسلناه ثانية إلى بلدة نينوى نفسها، فبلّغهم رسالتنا، فجعلناه ناجحًا في دعوته. وهكذا كشف الله للدنيا أن الذي يختاره لرسالته فإنه مهما ظن أنه ضعيف، ومهما احتقره الناس، فإن الله تعالى قادر على أن

يجعل رسالته تنجح على يد هذا الإنسان الضعيف المحتقَر نفسه، ويجعله من المقبولين بين القوم.

هذه هي معجزة يونان النبي التي أظهرها الله لأهل نينوى. ولكن قصة المسيح، كما يعرضها المسيحيون على العالم، لم تُثبت للمسيح أي مشابهة بيونان النبي؛ لأن معجزة يونان الحقيقية إنما هي أن الله تعالى وفّقه للقيام بالدعوة الناجحة، فرأى القوم أن هذا الذي كان قد فر منهم بسبب ضعفه قد صار مصلحًا ناجحًا، فصدّقوه وغيّروا ما بأنفسهم. إن أهل نينوى لم يروا يونان النبي وهو يدخل في بطن الحوت، ولم يروه أيضًا وهو يمكث في بطنه حيًّا، ثم لم يروه وهو يخرج من بطنه حيًّا، إذ كان يونان إذّاك بعيدًا عنهم مسافة ألف ميل تقريبًا؟ ولكنه حين عاد إلى نينوى، فرأوا أن ذلك الشخص الذي هرب من عندهم خوفًا من ألا ينجح في دعوته، قد أخذه الله تعالى وأتى به إليهم ثانية فجعله ناجحًا في دعوته. فكانت معجزة عظيمة لهم إذ كشفت لهم عما يملكه الله تعالى من قدرة عظيمة وقوى خارقة.

فإذا كان المسيح عليه السلام يعلن عن نفسه: "لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن الإنسان أيضًا لهذا الجيل" (لوقا ١١: ٣٠)، فالسؤال الذي يفرض نفسه هو: ما الذي شاهده أهل نينوى.

لا شك أن دخول يونان في بطن الحوت آية، وأن بقاءه في بطنه حيًّا أيضًا آية، وأن خروجه من بطنه حيًّا أيضًا آية، ولكنها آيات لم يراها أهل نينوى، إن الآية التي شاهدوها إنما هي أن يونان النبي سوّلت له نفسه أن لا يبلغهم رسالات الله، ففرّ من عندهم إلى بلد آخر، ولكن الله تعالى اضطره للعودة إليهم من مكان يبعد عنهم مئات الأميال، بعد أن ألقاه في شتى المحن والشدائد، ثم أنجز على يده المهمة التي بعثه من أجلها. لقد كفر به القوم وعارضوه في أول الأمر، ولكنهم اضطروا في آخر المطاف للإذعان له والانقياد. هذه هي الآية التي رآها أهل نينوى. ولن تتحقق هذه الآية في المسيح إلا إذا دخل في القبر حيًّا، ومكث في القبر حيًّا، وخرج من القبر حيًّا. غير أن هذه الجزئية من المعجزة أيضًا ما كان العدو ليشاهدها. أما إذا قام المسيح عليه السلام بدعوة الخراف الضالة من بني إسرائيل، التي كانت تقطن قريبًا من نينوى وفي إيران وأفغانستان وكشمير، وأدخلها في دينه، ونجح في إنجاز المهمة التي وكلها الله إياه، فقد ثبتت مماثلته بيونان النبي، وانكشفت للدنيا المعجزة التي وعد بالإتيان بها. أما إذا لم يثبت ذلك فلم يأت المسيح بآية كآية يونان النبي. فكما أن يونان النبي ذهب لدعوة قومه بعد خروجه من بطن الحوت، ونجح في دعوتهم، كان لزامًا على المسيح أيضًا بعد خروجه من القبر أن يبلغ بني إسرائيل رسالات الله، ويدعوهم إلى الهدى. وإن لم يفعل ذلك فلم تتحقق فيه آية يونان النبي

كاملةً، ولا يجوز القول إنه أرى قومه الآية التي أراها يونان النبي قومه. ذلك أن أهل نينوى رأوا بأم أعينهم أن الشخص الذي هرب من عندهم من دون أن يبلغهم رسالاته ظنًّا منه أنه أحقر من أن يفعل ذلك، قد عاد إليهم ثانية حتى اضطروا للإيمان به، ولكن المسيح إذا كان قد غاب بعد حادث الصليب فكيف ثبت شَبَهُه بيونان، وما هي الآية التي رآها الناس على يده كما رآها أهل نينوى على يد يونان.

إذن فالآية التي كان على المسيح أن يُري الناس إياها كما أراها يونان النبي – أي أن يريهم كيف يحقق الله تعالى ما يريد على يد عباد يظنون أنهم أحقر من أن يحملوا تلك المسؤولية – فلم يُرها المسيح، وأما الذي لم يُره يونان فقد أراه المسيح. لقد دخل يونان في بطن الحوت ولكن أهل نينوى لم يروا ذلك، ومكث في بطنه حيًّا ولكنهم لم يروا هذا أيضًا، وخرج من بطنه حيًّا، ولكنهم لم يروا تلك أيضًا؛ ولكن الله تعالى لما أتى به إلى نينوى ثانية أنجز المهمة التي فوضها الله إليه، وبالتالي أخبر الناس أن لا مهرب أمام قدر الله تعالى. لقد هربتُ من قدره فأتى بي إليكم ثانية. هذه هي الآية التي رأوها على يده. وكل من كان عنده ذرة من العقل إذا تدبر هذه الآية لقال تلقائيًّا: سجان الله، ما أعظمَها من آية! كان يونان يحسب نفسه أحقر من أن يحمل رسالة الله إلى أهل نينوى، فخاف وهرب إلى بلد آخر، ولكن الله تعالى أخذه وأتى به إليهم

ثانية، فلما بلّغهم رسالاته لم يجدوا بدًّا من الإيمان به والإذعان لـــه، وذلك خلاف ظنه أنهم لن يصدقوه. فكلما تدبر العاقل هذه الآية ازداد إيمانًا بقدرة الله وقال من تلقائيًّا: سبحانك اللهم، ما أعظمَ شأنَك وما أجلَّ قدرتك! تعزّ من تشاء وتذل من تشاء. أما لو قال يونان لقومه: لقد مكثت في بطن الحوت حيًّا، وخرجت من بطنه حيًّا، لرموه بالكذب والخداع، و لم يصدّقوه.

فشَبَهُ المسيح بيونان النبي لا يتحقق إلا إذا دخل القبر حيًّا، ومكث فيه حيًّا، وخرج منه حيًّا، ثم قام بعد حادث الصليب بالدعوة الناجحة في قبائل بني إسرائيل. ولكن الإنجيل يخبرنا أن الآية التي لم يُرها يونان قومه قد أراها المسيح قومه، وأما الآية التي أراها يونان قومه فلم يُرها المسيح قومه.

تخبرنا التوراة أن يونان لم يُر أهلَ نينوى آيةَ دخوله في بطن الحوت حيًّا، ومكوثه فيه حيًّا، وخروجه منه حيًّا، ولكن الإنجيل يقول أن المسيح أرى الناس آية دخوله في القبر، ومكوثه فيه، وخروجه منه. ثم تخبرنا التوراة أن الآية التي أراها يونانُ قومَه هي أنه بعد خروجه من بطن الحوت قام بدعوتهم حتى اضطروا للإيمان به. ولكن الإنجيل يقول أن المسيح غاب بعد خروجه من القبر، دون أن يقوم بأي دعوة، وهذا يعني أن الآية التي أتى بها يونان والتي هي آيته الحقيقية لم يأت بها المسيح، وأن ما لم يُره يونان أراه المسيح.

ثم تخبرنا التوراة أن يونان دخل في بطن الحوت حيًّا، ومكث فيه حيًّا، وخرج منه حيًّا، ولكن المسيحيين يقولون أن المسيح دخل القبر وهو ميت، ومكث في القبر ثلاثة أيام وهو ميت، ثم خرج منه بعد أن عاد إلى الحياة. فلو صح قولهم هذا لثبت أن المسيح لم يُرِ آية يونان النبي؛ وأما لو ثبت أن المسيح قد أرى آية يونان النبي، وأنه لم يمت على الصليب، وأنه لم يمكث في القبر ميتًا، لبطلت فكرة الكفارة كلها، لأن الكفارة إنما تثبت إذا ثبت أن المسيح قد مات على الصليب حاملاً عن الناس ذنوبهم، ولكنه إذا ثبت أنه لم يمت على الصليب فثبت أيضًا أنه لم يقدم أي فداء، وبالتالي بطلت الكفارة.

إذن فإن حادث الصليب، كما يقدمه المسيحيون، يناقض تمامًا المعجزةَ التي أراها يونان النبي، والتي وعد المسيح قومه أنه سيُريهم إياها.

المسيح عليه السلام وخِرافه الضالّة

هلم الآن لنرى هل تحدث المسيح في نبوءاته عن النتيجة التي استنتجناها من نبوءته عن آية يونان النبي؟ عندما نفحص الإنجيل من هذا المنظور تأخذنا دهشة كبيرة، إذ نجد المسيح يقول نفس ما قلناه آنفًا. بل إن الأنبياء الذين أتوا قبله، والذين بشروا بمجيئه، هم الآخرون قد أشاروا إلى هذا الأمر. لقد ورد في التوراة: "يقول

السيد الربُ جامعُ مَنْفِيِّي إسرائيلَ أجمعُ بعدُ إليه إلى مَجْمُوعِيه" (إشعياء ٥٦: ٨).

فالنبي إشعياء ينبئ هنا أنه سيأتي زمان حين يجمع الله تعالى خراف بني إسرائيل الضالة، وسيبعث نبيًّا يجتمعون حوله. ونبوءته هذه إشارة إلى بعثة المسيح، إذ ليس ثمة شخص آخر سوى المسيح ادعى أنه بُعث لجمع خراف بني إسرائيل الضالة. والمراد من هذه الخراف الضالة القبائلُ الإسرائيلية العشر التي دمّرها وشتّتها العراقيون في عهد نبوخذنصر البابلي. والمؤسف في هذا الهجوم أن اليهود كانوا إذاك مصابين بمرض الفُرقة والتناحر؛ يعادي بعضهم بعضًا. لقد انقسموا إلى دولتين، تسمى إحداهما إسرائيلية، والأخرى يهودية، وكانت عاصمة إحداهما أورشليم، بينما اتخذت الأخرى لها عاصمة أخرى. ولما هاجم العراقيون اليهودَ للقضاء على حكمهم انضمت إليهم إحدى الدولتين اليهوديتين المتناحرتين، فاستولى العراقيون على أرض اليهود مستغلين فرقتهم وتشتتهم، ودمروا كل الأماكن المقدسة اليهودية تدميرًا حتى ذبحوا الخنـــزير في معبد سليمان عليه السلام في أورشليم، وصبّوا على اليهود مظالم كثيرة أخرى. لقد قرر العراقيون قمع اليهود تمامًا لوجود العداء القديم بين الطرفين. فأخذوا معهم عشرًا من القبائل اليهودية، ونفوهم إلى الشرق، ولم يبق في فلسطين من اليهود إلا قبيلتان، وهما اللتان ساعدتا العراقيين ضد قومهما.

وأما القبائل العشر المنفية فقد اكتفت التوراة بقولها عنهم إن العراقيين قاموا بتشتيتهم في شرق إيران، ولكن بحثنا يؤكد أنهم نُفوا إلى أفغانستان وكشمير، وهكذا حالت بينهم وبين أرضهم مسافة هائلة، ولم يستطيعوا التجمع بعد ذلك كما أراد لهم البابليون، فظلت أحوالهم في طي الكتمان لمدة طويلة. ولكن العراقيين ما شتتوا هؤلاء اليهود كلهم في الشرق، بل أسكنوا بعضهم في بابل وما حولها ليخدموهم. وقد رجع هؤلاء إلى فلسطين ثانية بمساعدة ملوك ميديا وفارس، وعمروا أورشليم وقراها مرة أخرى (الموسوعة التوراتية تحت Cyrus). وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم أيضًا. بيد أن اليهود الذين تم جلاؤهم إلى كشمير وأفغانستان ما استطاعوا العودة إلى وطنهم. كما أنهم نسوا كثيرًا من عاداتهم وتقاليدهم وحضارتهم متأثرين بالحضارة البوذية بحكم إقامتهم بين البوذيين أحقابًا، فلم يبق مجال لعودتهم إلى أرض الوطن.

وكان اليهود يظنون أن المسيح سيظهر فيأتي إليهم بهذه الخراف الإسرائيلية الضالة، وفق نبوءة إشعياء التي ذكرتُها آنفًا. بل إن المسيح عليه السلام نفسه قد ذكر هذا الأمر في مناسبات عديدة. فذات مرة بعَث جماعةً من تلاميذه للتبشير، وأوصاهم قائلا: "إلى طريق أممٍ لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحريّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" (متى ١٠: ٥-٦).

وقد نصحهم بالذهاب إلى خراف بني إسرائيل الضالة فحسب دون الأمم الأخرى تحقيقًا لنبوءة إشعياء بأن بني إسرائيل المشتتين سيجتمعون على يد المسيح ثانية.

كذلك ورد في الإنجيل أن امرأة جاءت المسيحَ عليه السلام ببنتها التي قد ركبها الجن. ويبدو أن عامة الناس في ذلك العصر كانوا يظنون أن الجن يركبون الناس ويصيبونهم بالمرض، وإذا طُرد الجني تماثل المريض للشفاء. فسمعت المرأة أن المسيح يطرد الجن، فجاءت المسيح مسرعة، وهو خارج إلى جهة، وصرخت إليه قائلة: يا سيد، يا مقدَّس الرب، ارحمني واطرد الجن من بنتي. ولكن المسيح لم يكترث لها لكونها من أمة أخرى. ولكنها استمرت في صياحها والتماسها للمسيح، فقال لـــه تلاميذه: هذه امرأة تصرخ إليك من أميال أن تطرد الجن من ابنتها. فأجابهم بقوله: "لم أُرسَلْ إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" (انظر متى ١٥: ٢١-٢٤).

فالمسيح عليه السلام قد صرح هنا أن الغاية الحقيقية من بعثته أن يقوم بالدعوة بين القبائل الإسرائيلية العشر المشتتة، ويرجع بهم إلى دينهم.

ويبدو أن أنبياء بني إسرائيل كانوا يعرفون، بناء على وحي الله تعالى، أن القبائل الضالة قد نسوا دينهم و لم يعودوا يعملون بشرع موسى، بحكم عيشهم بين الأمم الأخرى، وأن الله تعالى قد قرر أن يرجع بهم إلى دينهم ثانية. وإن كلمات "خراف بيت إسرائيل

الضالة" أيضًا تؤكد أن هؤلاء لم يبتعدوا عن أرضهم فحسب، بل عن دينهم أيضًا، متأثرين بأهل الأديان الأخرى، فكانوا "الخراف الضالة" ظاهرًا وباطنًا. ومن أجل ذلك قال المسيح عليه السلام لليهود إنه لن يريهم إلا آية يونان النبي، وهذه هي آيته الكبرى، مؤكدًا أن مهمته الأصلية إنما هي جمع خراف بيت إسرائيل الضالة هؤلاء.

كذلك ورد في الإنجيل قول المسيح عليه السلام: "ولي خِرافٌ أُخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتي بتلك أيضًا، فتسمع صوتي، وتكون رعيةٌ واحدة وراعٍ واحد" (يوحنا ١٠: ١٦).

فقد أوضح المسيح عليه السلام هنا أن أولئك اليهود الآخرين يعيشون في بلاد أخرى لا في هذا البلد، وقد قرر الله تعالى أن يأتي بهم. أما هؤلاء فقد كفروا به لعنادهم، ولكن أولئك لن يعاندوه بل سيسرعون إلى تصديقه.

أما قولـــه "وتكون رعيةٌ واحدة وراعٍ واحد" فيبين أن معظم قوم موسى كانوا نسوا شرعه، فأراد الله تعالى أن يرجع بهم بواسطة المسيح إلى الشرع الموسوي ثانية، ويجعلهم جميعًا أمة واحدة.

لقد ثبت من هذه الفقرات أن الله تعالى كان أنبأ الأنبياء الأولين عن مهمة المسيح، وهي:

الأول: أنه سيبلّغ رسالة الله يهودَ بلاد الشرق كما بلّغها يهود فلسطين.

الثاني: وأنه إذا كانت الخراف الإسرائيلية من فلسطين لم تستجب لندائه فإن الخراف خارجها ستستجيب لندائه وتؤمن به، وذلك بحسب قول المسيح.

الثالث: وأنه لم يكن للمسيح الخيار في أن يذهب أو لا يذهب إلى تلك الخراف الضالة، بل كان لزامًا عليه أن يذهب إليهم ليبلغهم دعوته.

ولو أننا قارنّا هذه الاستنتاجات الثلاثة بآية يونان النبي لوجدنا بينهما شبهًا تامًّا.

فأولا: إن دراسة وقائع يونان النبي تؤكد أنه لم يكن يقطن في نينوى، ولكنه أُمر من عند الله تعالى بالذهاب إلى نينوى التي كانت تقع شرقي وطنه ليبلّغهم رسالات الله؛ وبالمثل أُمر المسيح بالذهاب إلى بلد أجنبي شرقي وطنه لتبليغ دعوته.

ثانيًا: كما يتضح من أحوال يونان النبي أن الله تعالى أرسله إلى نينوى رغم أنفه، إذ هرب من تبليغ أهلها؛ وبالمثل كانت النبوءات تؤكد أن الله تعالى سيضطر المسيح للهجرة من بلده إلى بلد أجنبي، ليوصل رسالته عن طريقه إلى خراف بني إسرائيل الضالة.

ثالثًا: أن المسيح حين يصل إلى القوم سيصدقونه ويؤمنون بدعواه، كما حصل بيونان النبي حيث إنه لما أُرغمَ على الذهاب إلى أهل نينوى وعرض عليهم دعواه، رفضوه في البداية رفضًا خفيفًا، ولكنهم آمنوا به لما رأوا آثار العذاب.

وبالاختصار لو قرأنا هذه العبارات مع آية يونان النبي لتبين لنا أن المعجزة التي كان على المسيح أن يريها مثل يونان النبي، ما كانت لتكتمل بدخوله في القبر حيًّا، وبمكوثه فيه حيًّا، وبخروجه منه حيًّا، بل كانت لها جزئية أخرى هي أهم جزئيات هذه المعجزة، ألا وهي أن الله تعالى سيذهب بالمسيح إلى القبائل الإسرائيلية الضالة، ليبلّغهم رسالة الله، فيستمعون لـــه، ويؤمنون به؛ وهي آية سيراها خراف بني إسرائيل الضالة كما رأى أهل نينوى آية يونس.

والآن لو فحصنا أحوال المسيح لوجدناها مماثلة لأحوال يونان النبي. لقد وُلد المسيح في فلسطين، وكانت لغته عبرانية، وكانت أمه من فلسطين، كما أن الرجل الذي سُمي أباه أيضًا، وإخوته الآخرين الذين كانوا أبناء لأبيه، وأبناء عماته كلهم كانوا يسكنون في فلسطين. ثم كان يعيش بين قومه مع تقاليدهم وعاداتهم وثقافتهم وأسلوب عيشهم، وهي كلها أمور ذات أهمية قصوى، إذ يصبح المرء مغرمًا بها. ولكن البلد الذي كان على المسيح أن يذهب إليها لجمع خراف بني إسرائيل كان بلدًا أجنبيًّا لا يربط المسيحَ به رابط. فشتان بين اللغة العبرانية واللغة الأفغانية أو الكشميرية. ثم إن القبائل الإسرائيلية الضالة كانوا قد نسوا تقاليدهم وعاداتهم وثقافتهم نتيجة اختلاطهم بالبوذيين وغيرهم من الشعوب القاطنة في هذه البلاد، وكان من الصعب أن يتخلوا عن

هذه التقاليد الجديدة. أضِفْ إلى ذلك السفر الطويل الوعر والشاق بين فلسطين وأفغانستان وكشمير. إذ لم تتيسر في تلك العصور أي تسهيلات في السفر، ثم إن مسافة ألفين ونصف الألف من الأميال مسافة هائلة. إذن فكما أن يونان النبي خاف من الذهاب إلى نينوى، كان قلب المسيح أيضًا ينخلع من أهوال السفر إلى أفغانستان وكشمير؛ إذ كان عليه أن يتخلى عن لسانه، ويترك وطنه وأعزته وأقاربه. وكان القيام بالدعوة في فلسطين أسهل لـــه، ولكن كما أن يونان النبي لما فر من المسؤولية، أرغمه الله على القيام بها، حيث خلق الظروف التي جعلته يدرك أن لا مهرب لـــه أمام قدر الله تعالى، وإنما عليه أن يذهب حيث يريده الله أن يذهب، فعاد إلى أهل نينوى يبلغهم رسالات الله؛ كذلك خلق الله للمسيح ظروفًا مماثلة، حيث اندلعت في البلد موجة عارمة من المعارضة، حتى رُفعت ضده قضية في المحكمة، فاضطر للمثول أمامها، فحكمت بإعدامه، فعُلِّق على الصليب، ولكن الله تعالى نجاه من الموت على الصليب حسب وعده ﷻ، مثلما نجّى يونان من الموت المحقق. فكما أن يونان لما أُلقي في البحر أمر الله تعالى حوتًا من الحيتان بابتلاعه، فمكث في بطنه ثلاثة أيام حيًّا، ثم خرج من بطنه حيًّا؛ مما زاده إيمانًا مع إيمانه بأن ربه عظيم القدرة إذ يحمي عباده بطريق خارق، كذلك فعل الله بالمسيح عليه السلام، فإنه لما أُنـــزلَ من الصليب حيًّا، ومكث في القبر حيًّا، وخرج منه حيًّا،

ازداد إيمانًا مع إيمانه وعلم أن ربه عظيم القدرة. بيدَ أنه لما خرج من القبر اضطرته الظروف للهجرة إلى ذلك البلد الذي أراده الله أن يذهب إليه. ذلك أن الشخص الذي تقرر الدولة إعدامه إذا نجا من الموت فلا يمكنه العيش في أراضيها بعد ذلك، إذ ستقبض عليه ثانية وتُعدمه. لا شك أن أي نبي لا يخاف الموت في سبيل الله تعالى، ولكنه لا يمكنه أيضًا أن يعيش عيشة العاطلين الكسالى. إنه يُخلَق للعمل، ويعشق العمل. إنه كالآلة التي تعمل كل حين. فما كان المسيح عليه السلام ليقضي باقي أيام حياته مختفيًا هنا وهناك بدون القيام بدعوته. لذا فإن حادثة الصليب، إذا كانت قد زادته إيمانًا مع إيمانه، فإنها قد أرغمته أيضًا على الهجرة فورًا من فلسطين إلى بلاد الشرق، مثلما هاجر يونان النبي. فوصل إلى أفغانستان وكشمير وبلغ أهله رسالات ربه. ولا غرو أنه لما حكى لهم ما جرى لـــه، وكيف أن الظروف أرغمته على السفر إليهم، ازدادوا إيمانًا مع إيمانهم، وامتلأت بحمد الله وشكره قلوبهم. فإن تواريخ كشمير تذكر لنا أن النبي الأمير أي المسيح عليه السلام لما وصل كشمير كانت في يديه ورجليه جروح – يبدو أن الأطباء في تلك العصور لم يكونوا حاذقين – فما زال الأطباء يداووها لفترة طويلة. فكم كانت فرحة القوم عظيمة وكم ازدادوا إيمانًا وحبًّا لله تعالى لما ذكر لهم المسيح هذه الأحداث المثيرة، وكيف أن الله تعالى قد جاء به إليهم من فلسطين رغم أنفه من أجل هدايتهم، وأنه لو بقي

هنالك لأخذوه وأعدموه ثانية. لا شك أن الله تعالى كان قادرًا على أن ينجيه من الموت ثانية لو حاولوا صلبه مرة أخرى، ولكنه لو بقي في فلسطين لما كان لـــه أي عمل إلا أن يعلَّق وينـــزل من على الصليب مرة بعد أخرى، دون أن يقوم بالدعوة إطلاقًا.

من الممكن أن يكون المسيح عليه السلام قد واجه بعض المعارضة من قبل بعض القوم، إذ لا بد للنبي من المعارضة، ولكن التاريخ يخبرنا أن هؤلاء القوم ما لبثوا أن أحبوا المسيح، وسارعوا إلى تصديقه كنبي من أنبياء الله تعالى*.

وإننا لو لم نسلم بهذا التفسير لنبوءة المسيح التي وعد فيها بأنه سيُري آية يونان النبي، لم يعد المسيح إنسانًا صالحًا وصادقًا، ناهيك عن أن يكون كفارة لذنوب الناس. ذلك أن المسيح ينبئ صراحة إنه يدخل القبر حيًّا، ويمكث فيه حيًّا، ويخرج منه حيًّا، وأنه لا بد لـــه من أن يذهب بعد ذلك إلى خراف بيت إسرائيل الضالة تحقيقًا لمشابهته بيونان النبي. متى ذهب يونان لدعوة أهل نينوى، يا ترى؟ طبعًا، بعد أن خرج من بطن الحوت. وبالمثل فإن الفترة الحقيقية لدعوة المسيح إنما تبدأ بعد خروجه من القبر. أما إذا لم يقم المسيح بالدعوة بعد خروجه من القبر حيًّا، ولم يجمع الخراف الإسرائيلية الضالة، فقد ثبت أن المسيح وكذلك إشعياء

* (Jesus in Heavens On Earth P. 368-369)

وغيره من الأنبياء السابقين الذين نَبَّئوا عن المسيح أنه سيجمع الخراف الإسرائيلية الضالة كانوا كلهم – والعياذ بالله – كاذبين.

حقيقة صلب المسيح

إذن فإن هذه الأمور كلها تدل دلالة قطعية أنه لم يكن من المقدر أن يموت المسيح على الصليب، ولا أن يكون كفارة عن ذنوب الناس. وأما إذا سلّموا بالكفارة لاستحال أن يُعتبر المسيح صادقًا، لأن التسليم بالكفارة يبطل أكبر نبوءاته، كما يبطل أيضًا ما نـــزل على إشعياء من وحي الله الذي أكده النبيون الآخرون أيضًا في نبوءاتهم. فثبت أن المسيح لم يقدم ذلك الفداء الذي يعزوه إليه المؤمنون بالكفارة، وأنه لم يصبح كفارة أبدًا.

وهلموا الآن لِنَرَ واقعة تعليق المسيح على الصليب وما واكبها من أحداث لنعلم هل تؤكد هي أن المسيح دخل في القبر حيًّا، ومكث فيه حيًّا، وخرج منه حيًّا، أم أنه دخل في القبر وهو ميت، ومكث فيه وهو ميت، وخرج منه بعد أن عاد إلى الحياة ثانية؟

فيما يلي الأحداث الهامة التي وردت في الإنجيل والتي تدل على أن المسيح لم يمت على الصليب.

الأول: إن الوالي الذي مثل المسيح أمامه كان ناصحًا للمسيح متعاطفًا معه، وكان صديقًا لبعض المؤمنين به (متى ٢٧: ١١-٢٤ ولوقا ٢٣: ١-٢٣). وكان ثمة أشخاص ما كانوا من حواريي المسيح في

الظاهر، ولكنهم كانوا يؤمنون به في قلوبهم، وكان يوسف الراميّ واحدًا منهم؛ ويتضح من الإنجيل أن يوسف الراميّ هذا كان من شرفاء اليهود وأثريائهم وصديقًا للوالي بيلاطس (متى ٢٧: ٥٧). ولما عُرض المسيح على بيلاطس حاول مرارًا إطلاق سراح المسيح بحيلة أو أخرى. ومن التدابير التي اتخذها لذلك أنه اختار للفصل في قضيته أواخر ساعات يوم الجمعة الذي يليه السبتُ اليومُ المقدسُ لدى اليهود (متى ٢٣:٥٤). وكان ذلك السبت يوم عيد رسمي أيضًا، وكانت الحكومة الرومانية تطلق فيه سراح أحد المسجونين استرضاءً لليهود، وإشعارًا لهم أن الحكومة تحترم ديانتهم. فحاول بيلاطس إطلاق سراح المسيح بحجة هذه المناسبة الرسمية وقال لليهود: علي أن أعفو اليوم عن أحد السجناء في كل حال، فهل أعفو عن المسيح؟ ولكن اليهود لم يرضوا بذلك وقالوا: يمكنك أن تعفو عن فلان السارق، ولكن لا تتركنَّ المسيح بدون العقاب (متى ٢٧: ٢١-٢٢). هناك اختلافات كثيرة في الأناجيل بهذا الشأن لا داعي للخوض فيها الآن، إلا أنه من المؤكد أن بيلاطس حين كان جالسًا على كرسي القضاء ويحاول إطلاق المسيح عليه السلام، إذ جاءه رسول من بيته، وقال لـــه إن زوجتك بعثتني إليك. فهبَّ من كرسيه ليسمع منه رسالتها فإذا هي تقول: لا تعاقب المسيح، فإني تألمتُ البارحة كثيرًا و لم أنم من أجله، لأن الملائكة جاءتني مرارًا تقول: لا تعاقبوا هذا البريء حتى لا تهلكوا (انظر متى ٢٧: ١٩). فلما

سمع قولها بذل جهده حتى يرضى اليهود بإطلاق سراح المسيح، ولم يدخر وسعًا في سبيل ذلك. ولكن اليهود لم يرضوا، وإنما هددوه بالشكاية إلى الإمبراطور في روما بأن بيلاطس قد تمرد عليه، وصار ملكًا. فخاف بيلاطس من قولهم، ودعا بماء غسل به يديه قُدّام الجميع وقال: إني بريء من دم هذا البار ومن هذا الإثم، وإنما دمه عليكم وعلى أولادكم. فقال الجميع بصوت واحد: دمه علينا وعلى أولادنا (انظر متى ٢٧: ٢٤-٢٥). فأسلمه إليهم ليصلبوه.

ويتضح من الإنجيل أنهم لما وصلوا مع المسيح إلى مكان الصلب في الساعة السادسة✪. أي كان الوقت ما بين الثالثة والرابعة بعد الظهر بحسب توقيت ذلك الزمن. وكان عليهم أن يصلبوا معه في ذلك اليوم اثنين من السارقين. والظاهر أن صلب ثلاثة أشخاص يستغرق وقتًا أطول من صلب شخص واحد.

✪ ورد في يوحنا ١٩: ١٤: "وكان استعداد الفصح، ونحو الساعة السادسة، فقال لليهود: هوذا ملككم".
وقال النصارى في تفسيره ما نصه:
"كان ذلك ما بين الساعة الثالثة والساعة السادسة، إذ رُفع على الصليب في تمام الساعة السادسة.
تحدث الإنجيلي مرقس (١٥: ٢٥) عن صلب السيد المسيح في وقت الساعة الثالثة حيث حسب الجلدَ منذ بدأ جلد السيد، أما الإنجيلي يوحنا فحسبه وقت الساعة السادسة حيث بدأ رفعه على الصليب.
يرى البعض أن الساعة السادسة هنا حسب التوقيت الروماني حيث يبدأ اليوم الجديد من منتصف الليل وليس كالتوقيت اليهودي الذي استخدمه الإنجيليون الآخرون، حيث يبدأ اليوم من الغروب إلى الغروب، أي السادسة صباحًا حيث كاد أن يصدر الحكم وتبدأ الإجراءات الفعلية للصلب. وفي بعض المخطوطات وبعض نصوص الآباء جاءت "نحو الساعة الثالثة" وليس "السادسة"."
(تفسير العهد الجديد من تفسير وتأمُلات الآباء الأولين، القمص تادرس يعقوب ملطي كنيسة الشهيد مار جرجس بإسبورتنج)
http://www.alkalema.us/newtestament/john19.htm

(المترجم)

ثم هناك أمر آخر لا يعرفـــه المسلمون عمومًا، ولا النصارى لجهلهم بديانتهم. ذلك أن الصلب في ذلك العصر لم يكن كعملية الإعدام في هذه الأيام. وإنما كانوا أولاً يغرزون لذلك خشبة شكلها كالآتي:

†

ثم كانوا يوقفون المجرم مع هذه الخشبة ويمدّون يديه إلى الجانبين ويشدّونهما بها. ثم يدقّون المسامير في اللحم اللين من ذراعيه وساقيه، ثم يتركونه هكذا معلقًا على الخشبة ليموت بآلامه جائعًا وعطِشًا. وأحيانًا كانوا يدقّون مسامير إضافية في راحتيه. ويعرف الملمّون بعلم تشريح الأبدان أن دقّ المسامير على هذا النحو لا يقضى على حياة الإنسان فورًا، إذ لا تُدق المسامير في العظام، بل في اللحم اللين من الأطراف والأرجل. لا شك أن دق المسامير في اللحم خطير ومؤلم جدًّا – بل إن بعض الناس يطلقون صرخات ألم شديدة عند الحقنة العادية – إلا أنه من الحقائق التي لا يحوم حولها الشك أن طريقة الصلب هذه ما كانت تقضي على المجرم فورًا، بل كان الموت يأتيه ببطء في عدة أيام لشدة آلام الجروح. إن تلك الطريقة كانت أكثر فزعًا ورهبة، حيث كان المصلوب يصاب بأذى نفسي شديد، بمعنى أنه يتأذى برؤية أنهم قد أتوه الآن بالمسامير، ثم أتوه بالمدق، ثم وضعوا المسمار على جسمه، ثم حملوا المدق، ثم بدأوا يدقونها في جسمه، وهذه كلها أمور تنطوي على

عنصر الرهبة الشديدة وتصيب النفس بصدمة كبيرة جدًّا. أما مجرد شق اللحم فما يصيب المجرم بأذى يفوق احتماله. فكم من ضربة سيف يتلقاها المرء أثناء القتال حتى تقطع أوصاله، ولكن ضربة السيف لا تصيبه بالهول الشديد لأنها تقع عليه بسرعة وفجأة، وأحيانًا لا تسبب له الأذى الذي يناله بإبرة حقنة علاجية، لأنه لا يشعر بها إلا بعد أن يقطع السيف جسمه، بل أحيانًا يحمد الله تعالى عندما يرى أن السيفَ قد قطع اللحم دون العظم. ولكن الطبيب عندما يأخذ إبرة الحقنة بيده فيظن البعض أنه ربما سيذبحه، فيستولي عليه هلع وذعر بشكل غير عادي. وبالمثل إنّ دق المسمار في جسم المرء يصيبه بذعر شديد لأنه يفكر فيما سيُفعل به بعد ذلك.

فلا غرو أن ما جرى مع المسيح عليه السلام قد آذاه أذى نفسيًّا شديدًا جدًّا، ولكنه ما كان أذى يقضى على حياة المرء. كان المسيح مرهف الحس، فشعر بهذا القدر من الأذى بشدة، حتى أغميَ عليه، ولكن السارقَين المعلَّقَين على يمينه وشماله ما زالا يتمازحان فيما بينهما، بل إن أحدهما سخر بالمسيح قائلا: "إن كنت أنت المسيحَ فخلِّصْ نفسك وإيانا." فنهره زميله وقال ألا تخاف اللهَ. أما نحن فنلقى جزاء ما فعلنا، وأما هذا فإنه لم يفعل شيئًا (انظر لوقا ٢٣: ٣٩-٤١). فترون أنهما يتمازحان وهما معلقان على الصليب بجنب المسيح ولا يباليان بما فُعل بهما، لأنهما من

الذين قد قست قلوبهم والذين قد تعودوا على احتمال مثل هذا العناء والمشقة. فهناك أسرة مسلمة أحمدية في كشمير كانت حاكمة على مظفر آباد، ولكن المهاراجا أغار عليهم وهزمهم وأخذهم أسرى إلى عاصمته سرينغر، وجعل لهم معاشًا. وحدث هذا في عهد المهاراجا رنبير سنغ، وهو الذي كان سيدُنا الخليفةُ الأول للمسيح الموعود عليه السلام يعمل عنده كطبيب ملكي. وكان هذا الحاكم المسلم لمظفر آباد فتى جلِدًا جميلاً، وكان المهاراجا معجبًا بفتوته وجماله. وذات يوم سقط هذا الفتى من الحصان أثناء لعبة "بولو"، وكُسرت يده. فخضع للعلاج، وجُبر العظم ولكن ظل فيه اعوجاج. وذات يوم سأله المهاراجا وهو في بلاطه: كيف حالك الآن؟ هل جبر العظم؟ قال: نعم. قال: أَرِني. فمد إليه يده، فلما رآه قال: إن العظم لم يجبر على ما يرام، بل فيه عوج، وهذا عيب على هذا الفتى الجميل. لم لم تخبرني حتى آمر طبيبي الخاص بعلاج يدك على ما يرام. وكان هذا الفتى جالسًا أمامه على كرسي، فضغط على يده بكل سكينة ووقار وكسرها مرة أخرى، وقال للمهاراجا: حسنًا، مُرْه الآن بعلاجي. فأخذت المهاراجا دهشةٌ كبيرة وكاد يسقط مغشيًّا عليه، فخرج من البلاط إلى مخدعه.

فيوجد في هذه الدنيا ذوو القلوب القوية كهؤلاء الذين لا يكترثون لمثل هذه الأمور. ولكن المسيح عليه السلام كان إنسانًا مرهف

الحس فأُغمي على المسيح حين عُلِّق على الصليب، بينما كان اللصان المعلقان معه يمزحان ويسخران، وعندما أفاق بدأ يئنّ من شدة الألم وهو في كامل الوعي والحواس، إذ يقول الإنجيل أن أمه جاءته في تلك الآونة، فلما رآها أخذته الرقة، حيث فكّر في معاناة أمه التي ترى ابنها في هذا الوضع، فقال للحواري "توما" وهو يشير إلى أمه: هذه أمّك. وقال لأمه: هذا ابنكِ (يوحنا ١٩:٢٦-٢٧).

علمًا أن البعض يخطئون في تفسير كلمة "توما"، فيظنون أن معناها "التوأم" أي الأخ الذي يولد معك في وقت واحد، ثم يقولون بناء على هذا التفسير الخاطئ أن المسيح لم يولد من غير أب. ولكن هذا غلط، لأن "توما" باللغة العبرانية تعني أخًا من الرضاعة. وهذا يعني أن المرأة التي أرضعت المسيح أرضعت أيضًا "توما"، أو أن السيدة مريم أرضعت "توما" أيضًا، وهكذا كان "توما" أخا المسيح من الرضاعة.

على أي حال، لقد أشار المسيح بهذا الكلام الوجيز اللطيف إلى أمر حكيم، حيث قال لتوما إنه معلق على الصليب الآن، وأنه على يقين بوعود الله معه، ولكن من الممكن أنه لم يفهم هذه الوعود الإلهية كما ينبغي، فربما قد اقترب أجله، لذا هو يسلّم أمه إليه. كما التمس من أمه أن تعتبر "توما" ابنًا لها.

ونرى أن المسيح إذا كان قد عبّر عن حبه لأمه في أي موضع من الإنجيل فقد كان في هذا الموضع، وإلا فربما يظن قارئ الإنجيل أن المسيح لم يحب أمه كما يجب.

قصارى القول إن المسيح ظل على الصليب في هذه الحالة، فكان يغشى عليه مرة، ويفيق أخرى. وكان الحراس الذين أمرهم بيلاطس بحراسته يكنّون لـــه الحب، فلما رأوه لا يستطيع تحمُّل تلك الآلام، أسرعوا وملَئوا إسفنجة خمرًا ومرًّا وسقوه إياها.

علمًا أن الإنجيل يقول إنهم قدّموا له إسفنجة مليئة خلاً (مرقس ١٥: ٣٦)، ولكن ما ذكرناه هو الثابت تاريخيًّا (راجع الموسوعة اليهودية تحت كلمة Cross).

إن المسيحيين يركزون أحيانًا على قولهم أن اليهود قد ظلموا المسيح لدرجة أنهم سقوه إسفنجةً ممزوجة خمرًا ومرًّا وهو يئن تحت وطأة الآلام. ولكن الكتب الرومانية تؤكد أنهم إذا أرادوا أن يرفقوا بمصلوب وينقذوه من الآلام قدموا لـــه مزيج الخمر والمر (الموسوعة اليهودية كلمة Crucifixion). نحن لا ندري ماذا يقول الطب عن هذا المشروب، ولكن كان الاعتقاد السائد عندهم أنه يخفف من آلام شاربه. إذن فإن هذا الحادث أيضًا يكشف أن الذين أُمروا بحراسة المسيح كانوا من أتباعه في الخفاء، فحاولوا تخفيف آلامه قدر الإمكان.

هذا، وقد ذكرتُ من قبل أن المسيح عُلّق على الصليب في الساعات الأخيرة من يوم الجمعة، وكان يوم السبت يبدأ بمغيب الشمس؛ علمًا أن الناس في هذه الأيام يعتبرون بداية اليوم الجديد من منتصف الليل، ولكن في الإسلام يبدأ اليوم الجديد بغروب الشمس، وهذا الطريق نفسه كان متبعًا عند بني إسرائيل. فبما أن يوم السبت كان سيبدأ بغروب الشمس، وحيث إن اليهود كانوا يعتقدون أن المصلوب لو تُرك على صليبه في السبت نـــزل غضب الله (يوحنا ١٩: ٣١)، فحذّر بيلاطس اليهودَ أنه لو بدأ السبت والمسيحُ على صليبه لحل بهم العذاب. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، هبّت بأمر الله تعالى ريح عاصفة صارت بها الأرض مظلمة (انظر مرقس ١٥: ٣٣)؛ فازداد اليهود خوفًا من أن يبدأ السبت والمسيحُ على الصليب، فالتمسوا من بيلاطس إنـــزاله (انظر يوحنا ١٩: ٣١).

ولو أن المسيح عليه السلام قد أُنـــزل من الصليب قبل مغيب الشمس بثلثي الساعة أو نصفها، فإن فترة بقائه على الصليب قلّت بهذا المقدار. فإذا كان عُلق في الساعة الثالثة والنصف، وإذا كانت الشمس غابت في الساعة السابعة، فصارت مدة بقائه على الصليب ثلاث ساعات ونصف الساعة؛ ولكنهم أنـــزلوه قبل مغيب الشمس بحوالي ثلثي الساعة أو نصفها بسبب العاصفة والظلمة خوفًا من أن يبدأ السبت؛ فلو طرحنا هذا الوقت لكانت

المدة الحقيقية لبقائه على الصليب قرابة ساعتين ونصف الساعة أو ثلاث ساعات. بينما كان بعض الناس لا يموتون على ذلك الصليب رغم بقائهم معلقين عليه سبعة أيام، وما كانوا يموتون إلا من جراء شدة الجوع والعطش أو نتيجة سريان سمّ الجروح في الجسم.

وكان من عادتهم أن يكسروا عظام الذين يُنـــزلون من على الصليب وهم أحياء، ولكن بما أن حراس المسيح كانوا من مريديه في الخفاء، فكسروا عظام اللصين، ولم يكسروا عظام المسيح. علمًا أن الصلب يعني في الحقيقة إخراج مخ العظام بكسرها، ومنه جاءت تسمية "المصلوب" لأن معظم الناس كانوا لا يموتون على الخشبة، فكانوا يكسرون سيقانهم ويخرجون مخها. ولكن الثابت أنهم لم يكسروا ساقَي المسيح (انظر يوحنا ١٩: ٣٣).

ومن الأدلة على نـــزول المسيح عليه السلام من على الصليب حيًّا ما ورد في الإنجيل أن المسيح عندما أُنـــزل جاء أحد الجنود سريعًا وطعن جنبه بحربة طعنًا خفيفًا، فخرج منه الدم والماء (انظر المرجع السابق: ٣٤).

و"خروج الدم والماء" منه ليس مصطلحًا لـــه مدلول خاص، إنما معناه أنه خرج من جسد المسيح الدم السائل. أما لو أُخذ بيان الإنجيل حرفيًا لكان معنى ذلك أن الدم والماء شيئان مختلفان, بمعنى أن في الدم شيئًا آخر غير المادة السائلة التي تجعله سائلا، مع أن

الأمر ليس كذلك. فليس المراد من ذلك إلا أنه خرج من جسد المسيح الدم السائل. ولكن الحراس أشاعوا بين القوم أنه قد مات، فلا حاجة لكسر سيقانه.

ويبدو أن اليهود أيضًا كانوا خائفين في قلوبهم، وكانوا يدركون في قرارة نفوسهم أنهم قد عاقبوا البريء البار، ومن أجل ذلك أصابهم الذعر الشديد حين جاءت العاصفة التي أظلمت الأرض، وظنوا أنها عذاب من الله تعالى، فارتدعوا عن المزيد من العناد والإصرار، وقالوا: حسنًا، إذا كان قد مات فادفنوه.

إن كل هذه الأمور مجتمعةً توضح أن موت المسيح على الصليب في تلك الظروف مستحيل. ذلك أن الآخرين كانوا لا يموتون على ذلك الصليب حتى في سبعة أيام، فكان المسؤولون يضطرون لكسر سيقانهم ليموتوا، فكيف مات على الصليب في ثلاث ساعات ونصف، بل في أقل من ذلك، وبخاصة أن الحراس كانوا من أتباعه سرًّا، فلم يدخروا وسعًا في التخفيف من آلامه و لم يألوا جهدًا في إنقاذه من الموت؟

ومن الأدلة على عدم موت المسيح على الصليب أنهم لما أنـــزلوه من على الصليب جاء يوسف الراميّ إلى بيلاطس وطلب منه تسليم جسد المسيح إليه، فأمر بتسليم جسده إليه (متى ٢٧: ٥٨). فذهب يوسف الراميّ بجسده، ووضعه في قبر.

وليكن معلومًا أن ذلك القبر ما كان كالقبور التي عندنا، إذ لو وُضع أحد في قبورنا لبعض الوقت لانقطعت أنفاسه فورًا، إنما كان ذلك القبر غرفة واسعة محفورة في الصخر (متى ٢٧: ٦٠). ثم إن يوسف الراميّ كان قد أغلق باب القبر بحجر (المرجع السابق)، كيلا يشك الناس في الأمر، وفي الوقت نفسه يدخل الهواء في القبر.

إن هذه الأحداث كلها تؤكد أنه كان من المستحيل أن يموت المسيح على الصليب في هذه الظروف. لا شك أن الإنسان يمكن أن يموت وهو يمشي، أو يقوم من مجلسه، ولكنا لا نناقش هذا الأمر هنا، وإنما الأمر الذي نناقشه هو أن الظروف التي مر بها المسيح لا يموت فيها المرء عمومًا بل يعيش، لذا فإن موت المسيح في تلك الظروف محال. إذ لم يزل مع المسيح منذ بداية الحادث إلى آخره رجال من مريديه أو أصدقائه أو نصحائه، فحاولوا جاهدين إنقاذه.

ومما يدل على أنهم كانوا ناصحين للمسيح أنه لما أُنـــزل من على الصليب ووُضع في القبر طلب اليهود من بيلاطس أن يأمر بحراسة قبره إلى اليوم الثالث إذ كان يدعي بأنه سيعود إلى الحياة بعد ثلاثة أيام كيونان النبي. ولكن بيلاطس رفض أن يعطيهم حراسًا من قبل الحكومة وقال لهم: "عندكم حرّاس، اذهبوا واضبِطوه كما تعلمون" (المرجع السابق: ٦٥). وكان قصد بيلاطس من رفضه هذا أنه لو عيّن على قبره حراسًا من قبل الحكومة فلن

يستطيع المسيح أن يخرج من القبر، إذ لو تشاجر المسيح مع الشرطة لكان ذلك خروجًا منه على القانون؛ أما إذا حرس قبره بعض عامة الناس لسهل على المسيح الدفاع عن نفسه. فرفض أن يبعث الشرطة لحراسة قبره.

ثم إن الأحداث التي جرت بعد ذلك أيضًا تؤكد أن المسيح عليه السلام لم يمت على الصليب. ذلك أن المسيح إذا كان قد عاد إلى الحياة بعد الموت، فهذا يعني أنه عاد ابنًا لله ثانية، فما كان عليه أن يخشى الناس عندها. ولكنا نقرأ في الإنجيل أن المسيح كان، بعد حادث الصليب، ينتقل من مكان إلى مكان مختفيًا عن أعين الناس، وكان يقول لأصحابه أن لا يخبروا أحدًا أنه حي؛ بل يتضح من الإنجيل أنه لم يخبر حوارييه أيضًا بمكان إقامته. ومن المحتمل أنه قضى تلك الأيام في دار يوسف الراميّ، إذ ورد أن المسيح كان يظهر فجأة، ثم يغيب بعد قليل. وذات مرة جاء إلى حوارييه، فرأوه بأم أعينهم ومع ذلك لم يصدّقوا أنه المسيح حقًّا. فقال لهم: هل عندكم شيء للأكل؟ فأعطوه قطعة من السمك وشيئًا من العسل. فأكل أمامهم فأيقنوا أنهم يرون المسيح نفسه (لوقا ٢٤: ٣٦-٤٣).

والبديهي أن الروح وحدها لا تتصرف هكذا أبدًا، وإنما الإنسان الحي من جسد وروح هو الذي يقوم بمثل هذه الأفعال. فبما أن المسيح عليه السلام كان يستوجب الإعدام وفق قانون الحكومة، وبما أنه كان سيتعرض للصلب مرة أخرى لو وقع في أيدي

الشرطة، فكان لزامًا عليه أن يعيش في الخفاء والسرية، ويخفي مكان إقامته عن الحواريين أيضًا.

إذن، فإن فقرات الإنجيل هذه تدل بما لا يدع مجالا للشك أن المسيح لم يمت على الصليب، بل نـــزل من الصليب وهو حي، ومكث في القبر وهو حي، وخرج من القبر وهو حي، وأخبر الحواريين أنه حي.

ومن الطريف أن الإنجيل يخبرنا أنه لما بلغ الحواريَّ "توما" أن المسيح حي قال: "إن لم أُبصِرْ في يديه أثر المسامير، وأضع إصبعي في أثر المسامير، وأضعْ يدي في جنبه، لا أومن". فدعاه المسيح وقال لـــه: "هاتِ إصبعك إلى هنا، وأَبْصِرْ يديَّ، وهاتِ يدَك وضَعْها في جنبي"، لتعلم أني أنا المسيح، ولستُ روحًا. (يوحنا ٢٠: ٢٤-٢٧).

إن كل هذه الأحداث لتكشف بكل وضوح وجلاء أن نبوءة المسيح بأنه سيُري قومه آية يونان النبي قد تحققت مائة بالمائة. إنهم علّقوا المسيح الذي كان من لحم ودم، ولكنه نـــزل من الصليب حيًّا، ثم دخل القبر حيًّا، وخرج منه حيًّا، ثم لم يزل يختفي عن أعين الناس لأن قانون ذلك البلد لم يسمح لـــه بالعيش فيه؛ وهذا هو التدبير الخفي الذي دبره الله تعالى كي يضطر المسيح للهجرة إلى بلاد أفغانستان وكشمير، بحثًا عن خراف بني إسرائيل الضالة. كان الله تعالى على علم بأن المسيح لن يرى العيش تحت ظل تلك

الظروف أمرًا حكيمًا، وسيخرج بعدها عن طيب خاطر إلى تلك القبائل الضالة التي بُعث من أجل هدايتها وإصلاحها. وهذا ما حصل بالضبط. فلما رأى أن عيشه في فلسطين قد أصبح أمرًا مستحيلا سافر إلى بلاد الشرق، وما زال يبلغ رسالات الله إلى القبائل اليهودية العشر المستوطنة في أفغانستان وكشمير.

إن الجزء الباقي من هذا البحث لا يتعلق بالكتاب المقدس، وإنما يتعلق بتاريخ أفغانستان وكشمير وبعض الروايات القديمة للأفغان. وقد ألقى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام الضوء على هذا الموضوع مفصلاً في كتابه "المسيح الناصري عليه السلام في الهند"، وأثبت بالشهادات التاريخية أن المسيح عليه السلام قد هاجر بعد حادث الصليب إلى أفغانستان وكشمير.

وعلاوة على ذلك، فإن بحوثًا أخرى تؤكد أن نبيًّا جاء إلى كشمير مهاجرًا من جهة الغرب، وكان يسمى النبي الأمير، وكان في يديه ورجليه آثار الجروح، وقد بلّغ أهل كشمير رسالات الله تعالى.

خلاصة القول

وأعود فأقول: إن الله تعالى قد ذكر في مقطعة "كهيعص" أربعًا من صفاته سبحانه وتعالى لإبطال المسيحية، وهي: الكافي والهادي والعليم والصادق. وكما قلت في البداية إن صفتي الكافي والهادي تابعتان لصفتي العليم والصادق، لأن العليم يكون كافيًا أيضًا، ولأن

الصادق يكون هاديًا أيضًا؛ ذلك أن الطبيب إنما يفشل في علاج مرض من الأمراض إذا كان علمه ناقصًا، أو إذا كان فحصه ناقصًا وإن كان علمه كاملاً، لأنه في كلتي الصورتين سيصف دواء خاطئًا، ولكن الطبيب العليم سيعلم المرض جيدًا، ويصف الدواء الناجع أيضًا.

أما الصادق فمعناه المخلص والوفي، وأي شك أن الصديق المخلص الوفي سيكون هاديًا لصديقه، إذ كيف يمكنه أن يرى صديقه وحبيبه المستحق لرحمته وهو يغرق ثم لا يسعى لإنقاذه، أو يراه يهلك ثم لا يحاول أن يحميه.

إن جميع المسائل المتعلقة بالمسيحية إنما تدور حول هذه الصفات الإلهية الأربع. إن المسيحيين أخطئوا في فهم صفات الله العليم والكافي والهادي والصادق، فاختلقوا من عندهم عقائد فاسدة. فبما أن الله تعالى قد تحدث في هذه السورة عن المسيحية فاستهلّها خاصة بذكر هذه الصفات الأربع التي تبطل عقائد المسيحيين الخاطئة.

لقد ذكرت من قبل أنه قد ورد في الحديث أن النبي ﷺ قد قال في مقطعة "كهيعص" أنها ترمز إلى صفات الله تعالى. وهناك رؤيا قديمة لي تدعم هذا الأمر.

ذات مرة كنت قادمًا من السند، فرأيت خلال هذا السفر رؤيا بأن شخصًا يقول لي: أنت أيضًا مذكور في "كهيعص". فحيث إن

عملي هو في الواقع عمل سيدنا المسيح الموعود عليه السلام، وأن حضرته مثيل للمسيح الناصري عليهما السلام، فثبت أنني مذكور في هذه المقطعة. ذلك أن هذه المقطعة إذا كانت تتحدث عن المسيحية، فلا بد أن يكون فيها ذكرُ المسيح الموعود عليه السلام أيضًا. إن هذه المقطعة تتحدث عن المسيحية من حيث كون المسيحيين قد أخطئوا في فهم صفات الله الكافي والهادي والعليم والصادق فاختلقوا لأنفسهم مذهبًا خاطئًا، وإنها تتحدث عنا أيضًا، أعني عن المسيح الموعود وجماعته، من حيث إننا قد أبطلنا عقائد المسيحيين على ضوء الصفات المذكورة في هذه المقطعة القرآنية. وهذا يعني أن هذه المقطعة تتحدث عن أتباع المسيح الناصري وكذلك عن أتباع المسيح الموعود المحمدي، ولكنها تتحدث عن المسيحيين من حيث إنهم لم ينتبهوا إلى هذه الصفات الإلهية فضلّوا عن سواء السبيل، بينما تتحدث عن جماعة المسيح الموعود عليه السلام بمعنى أن هذه الصفات الإلهية نفسها ساعدتنا، فقضينا بها على المسيحية.

والحق أن كل الأعمال الروحانية إنما تدار بالصفات الإلهية، ولو أن أحدًا نال علمًا صحيحًا لتمكَّنَ بمساعدة الصفات الإلهية وحدها من دحض جميع الأديان المنحرفة وإثبات بطلانها.